﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأعراف: 142]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

في الآية الكريمة عودٌ إلى بقيَّة حوادثِ بني إسرائيل، بعد مجاوزتِهم البحرَ[1]، قال السَّعدي: "ولمَّا أتمَّ اللّه نعمتَهُ عليهم بالنَّجاة من عدوِّهم، وتمكينهِم في الأرض؛ أرادَ ﷻ أنْ يُتمَّ نعمته عليهم، بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكامُ الشَّرعية، والعقائدُ المرضيَّة، فواعَدَ موسى عليه السلام"[2].

العَلاقةُ بين الإنجاءِ منَ العذابِ والاستئصال، وظروفِ المواعَدةِ في الميقاتِ

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَوَٰعَدۡنَا﴾: (وعد) كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَرْجِيَةٍ بِقَوْلٍ، يُقَالُ: وَعَدْتُهُ أَعِدُهُ وَعْدًا، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وَشَرٍّ[3]. ووَاعَدتَ زيدًا إذا وَعدك ووعدتَه، ووعدتَ زيدًا؛ إذا كَانَ الوَعْدُ مِنْك خاصَّةً، والمَوْعِد: العَهْد[4]. فـ ﴿وَوَٰعَدۡنَا﴾ يحتمل أن تكون بمعنى (وَعدْنا) من واحد، وأن تكونَ من اثنين على أصل المفاعَلة، ويكون قِسْطُ موسى في هذا الوعدِ بالمجيءِ للميقاتِ، أو القَبولِ، أو معاهدَتِه اللّهَ[5]، وواعدَ: كان أكثر وعدًا منه[6]، ولأنَّ العهدَ من معاني الوعد، قيل: معنى واعَده: عاهَدَهُ على أن يُوافيَه في موضعٍ، أو في وقت معيَّنٍ[7]، وهو معنى اللفظة في الآية الكريمة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/85.
(2) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 302.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (وعد).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (وعد).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (وعد).
(7) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (وعد).

2) ﴿مِيقَٰتُ﴾: (وقت) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حَدِّ شَيْءٍ وَكُنْهِهِ فِي زَمَانٍ وَغَيْرِهِ[1]، ومِنْهُ الْوَقْتُ: وهو مقدارٌ من الزَّمَانِ معلومٌ، وكلُّ ما قدَّرت له غايةً، أو حينًا؛ فهو مُوَقَّتٌ، ووَقَتَ لَهُ كَذَا وَوَقَّتَهُ، أَيْ: حَدَّدَهُ. والمِيْقَات: مصدرُ الوقت، أو الْمَصِيرُ لِلْوَقْتِ، أو الوقتُ المضروب للشيء، والوعدُ الذي جُعِل له وقتٌ، وقد يقال للمكان الذي يُجعَل وقتًا للشيء، كميقات الحج[2]. والمِيْقَاتُ: ما قُدِّر لعمل، فهو أخصُّ من الوقت[3]. ومعنى المِيْقَات في الآية الكريمة: ما وقَّته له من الوقت لأداء عملٍ.

3) ﴿ٱخْلُفْنِى﴾: (خلف) أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا أَنْ يَجِيءَ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ خِلَافَةً؛ لِأَنَّ الثَّانِي يَجِيءُ بَعْدَ الْأَوَّلِ قَائِمًا مَقَامَهُ[4]. ويُقالُ لِمَنْ خَلَفَ آخرَ، فَسَدَّ مَسَدَّهُ، وقام بالأمر عنه: خَلَفَ، والخِلافةُ النِّيابَةُ عن الآخرِ، إمَّا لغيبةِ المنُوبِ عنه، وإمَّا لموته؛ وإمَّا لعجزه؛ وإمَّا لتشريف المُسْتَخْلَفِ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلفَ اللّٰهُ أولياءَه في الأرض[5]. وعليه أيضًا أَخْلَفَ موسى هارونَ ﷺ وأنابَهُ مكانَهُ في غيبته، ووكَّل إليه ما وكَّلَ من مَهَامٍ[6].

❁ المَعْنى الإِجْمالِيُّ:

أخبر تعالى بامتنانه على بني إسرائيلَ، بما حصل لهم من الهداية، بتكليمهِ موسى ﷺ، وإعطائه التوراةَ، وفيها أحكامُ شرعه وتفاصيله، ويذكر تعالى أنَّه واعده ثلاثين لَيْلَةً، فصامها، فلمَّا تمَّ المِيْقَاتُ؛ استاك بلحاء شجرة، فأمره اللّٰه تعالى أن يكمِلَ بعشرٍ أربعين ليليةً[7].

مُـــواعـــدةُ الـلّـهِ مـوسَى واسـتـخـلافُ هارونَ، لمناجاتِه وعوْدَتِه بالألواحِ الـتّـي تضمّنتْ شريعَتَه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقت).
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (وقت).
(3) محمد رضا، تفسير المنار: 9/105.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلف).
(5) الرّاغب، المفردات: (خلف).
(6) تم تناول مادّة هذه اللّفظة في الآية الكريمة رقم: (129)، وعند شرح مفردة (الاستخلاف)، وأُعيد شرحها هنا بإيجاز لاختلاف صيغة اللّفظتين.
(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/468.

و لمَّا أراد الذَّهاب لميقات ربِّه؛ استخلفَ عليهم أخاه الكبير هارونَ ﷺ للحُكم بينهم والإصلاحِ فيهم؛ إذ كانت الرِّياسةُ فيهم لموسى، وكان هارونُ وزيرَهُ ونصيرَهُ ومساعدَهُ، كما سألَ ربَّه بقَوْله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ [طه: 29 - 32]، وأوصاه بالإصلاح فيهم وفيما بينهم، ونهاه عنِ اتِّباع سبيل المُفْسِدين في الأرض، الذي يشمَلُ مشاركتَهم في أعمالهم، ومساعدتَهم عليها، ومعاشرتَهم والإقامةَ معهم في حال اقترافها، ولو بعد العجز[1].

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى جواز النَّهي عن شيءٍ يعلمُ أنَّه لا يفعلُه، ويأمرُه بما يعلمُ أنَّه سيفعلُه، عظةً له، واعتبارًا لغيره، وتأكيدًا ومصلحةً للجميع[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ الوصْلِ دونَ الفصْل، في السِّياقِ الحكيم:

الواو عاطفةٌ لمطلق الجمع، والجُمْلَةُ عطفٌ على جملة: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾[3]؛ لأنَّه عودٌ إلى بقيَّة حوادث بني إسرائيل، بعد مجاوزتهم البَحْرَ.

العَوْدُ إلى بقيَّةِ حوادثِ بني إسرائيلَ، بعْدَ مُجاوزَتهم البحْرَ

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بلفظِ ﴿وَوَٰعَدْنَا﴾:

والزِّيادة في الفعل بصيغة فاعَلَ للمبالغة في المواعدة[4]، قال الزجَّاجُ: "وواعدنا هنا جيدٌ بالغٌ؛ لأنَّ الطَّاعةَ في القَبول بمنزلةِ المواعدة، فهو من الله ﷻ وعدٌ ومن موسى قَبول واتِّبَاعٌ، فجرى مجرى المواعدة"[5]، وعبَّر عنه بصيغة المَاضِي للدلالة على تحقُّقِ وقُوعِهِ.

ما هو منَ اللَّه ﷻ وَعْـدٌ، هو من موسَى قَبولٌ واتِّبَاعٌ

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 9/106.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/178.
(3) محمد رضا، تفسير المنار: 9/105.
(4) قباوة، المفصّل، ص: 596.
(5) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/133.

دلالة تَعدُّدِ وُجوهِ القراءةِ، في قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا﴾:

المواعدةُ مُفاعَلةٌ، ولابدَّ من طرفَيْنِ لِحُصولِها

قرأ الجمهور: ﴿وَوَاعَدْنَا﴾ بألف بعد الواو، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب: ﴿وَوَعَدْنَا﴾ بحذف الألف، فأمَّا القراءةُ بغير ألفٍ فوجهُهُ ظاهرٌ؛ لأنَّ الوعدَ كان من الله تعالى، والمواعدةُ مفاعَلةٌ، ولابدَّ من اثنين. وأمَّا بالألف؛ فله وجوهٌ؛ أحدها: أنَّ الوعدَ وإن كان من الله تعالى فقَبولُه كان من موسى ﷺ، وقَبولُ الوعد يَشبَهُ الوعدَ؛ لأنَّ القابل للوعد لابُدَّ وأن يقول: أفعل ذلكَ. وثانيها: لا يبعد أن يكون الآدميُّ يَعِدُ اللهَ، ويكون معناه يعاهدُ اللهَ. وثالثها: أنه أمرٌ جرى بين اثنين فجاز أنْ يُقالَ: واعدنا. ورابعها: - وهو الأقوى - أنَّ الله تعالى قد وعدَ موسى الوحيَ، ويكون موسى وَعَدَ اللهَ المجيءَ للميقاتِ[1].

رجَّح بعضُهم قراءة ﴿وَوَعَدْنَا﴾؛ لكون المواعدة لا تكونُ إلَّا من البشر، فأمَّا من الله؛ فإنَّما هو التَّفرُّد بالوعد، وأكثر ما تكون المواعدة من المخلوقين المتكافئين، كلُّ واحد منهما يَعِدُ صاحبه[2]. وإنما قالوا هكذا نظرًا إلى أصل المفاعَلة أنَّها تفيد الاشتراكَ في أصل الفعل، وتكون من كلِّ واحد من المتواعدين ونحوهما، لكنَّها قد تأتي للواحد في كلام العرب، كما في قَوْلهم: داويتُ العليلَ، وعاقبتُ اللِّصَّ[3]. فهي مفاعلةٌ على غير بابها، فضلًا عن أنَّ قبول موسى لوعد الله والتزامه، وارتقابَهُ يشبه المواعدةَ[4]، فيكون من باب الموافاة، وليس هو من الوعد والوعيد في شيء[5].

(وَعَـدَ) تُطْلَقُ عن غيرِ طَلَبٍ، و(واعَدَ) فتُطْلَقُ عن طَلَبٍ

وفي لفظ المواعدة طلبٌ من الله لموسى ﷺ بذلك، وقد ضربَ الله تعالى لموسى ﷺ موعدًا لمكالمته، وإعطائه الألواحَ المشتمِلة على

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 3/69، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/356.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/142، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/356.
(3) الشّوكانّي، فتح القدير: 1/100.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/142.
(5) الشّوكانيّ، فتح القدير: 1/100.

أصول الشَّريعة فقَبل ذلك، ثم صَعِد جبل سيناء في أوَّل الموعد، وهبط في آخره، وفَرْقٌ بين الاتفاق على الشَّيء بين اثنين أو أكثر كالتلاقي في مكانٍ معيَّن أو زمان معين، وبين الوعدِ به من واحد لآخر لا يطلب منه شيء لأجل الوفاء، كقولك لآخر: سأدعو الله لك في البيتِ الحرام مثلًا، فهذا وعدٌ مَحْضٌ، وذاك يحتمل الأمرين باعتبارين كعبارة الآية[1]. إذ يدلُّ هذا الإجراء على أنَّ الله ﷻ وعَدَ موسى أوَّلًا، وبعد ذلك أكَّدَ له هذا الوعد، وأعلن موسى عليه السلام طاعته لتنفيذ الحضور في المِيْقَات المحَدَّد، فكانت بينه وبين ربِّهِ مواعدةٌ، حدَّد فيها المِيْقَات الزمانيَّ والمِيْقَات المكانيَّ، فجاءت القراءتان للدَّلالة على الحالتين: الوعدِ من الله أولًا، والوعدِ التأكيديِّ المقرون بإعلان موسى طاعته أنْ يحضر.

نُكتةُ حذْفِ الموعودِ به:

حـذْفُ الموعـودِ به يَعتمِدُ على القرينةِ، في قَوْله (ثَلاثِينَ لَيْلَةً)

حُذِفَ الموعودُ به لمّا تبيَّنت القرينةُ إيجازًا، واستغناءً بالمذكور، و﴿ثَلَاثِينَ﴾ منصوبٌ على النِّيابة عن الظرف؛ لأنَّ تمييزَه ظرفٌ للمواعَدِ به، وهو الحضور لتلقِّي الشريعة، ودلَّ عليه ﴿وَوَاعَدْنَا﴾؛ لأنَّ المواعدةَ للقاءِ، فالعاملُ ﴿وَوَاعَدْنَا﴾ باعتبار المقدَّر، أي: حضورًا مُدَّةَ ثلاثين لَيْلَة[2].

سِرُّ التَّعْبِيرِ بلفْظِ الإتمامِ مع التّفْريقِ:

حكمـةُ العَـددِ الاستـئنـاسُ، أو لِتكـونَ تلك العَشْرُ عِبادةً أخـرَى فيتكرَّرُ الثَّوابُ

ورد التَّعْبِيْرُ بلفظ الإتمام المزيد بالهمزة متعدِّيًا بالباء في هذا الموطنِ فقط من القرآن، والباءُ فيه لبيان نوع الإتمام، وأنَّه من جنس ما سبقه، فدلَّ التَّعْبِيْرُ على الإتمام، ووسيلته[3]. ولا يصحُّ أنْ تكون هنا للاستعانةِ تأدُّبًا، وسُمِّيتْ زيادة الليالي العَشْر (إتمامًا) إشارةً إلى

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/356، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/105.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/85.
(3) داود، القرآن الكريم وتفاعل المعاني: 2/476.

أنَّ اللّه تعالى أراد أنْ تكونَ مناجاةُ موسى أربعين لَيْلَةً، ولكنَّه لما أمره بها أمره بها مفرَّقةً، إما لحكمة الاستئناس، وإما لتكونَ تلك العَشْرُ عبادةً أخرى، فيتكرَّر الثَّوابُ[1]، أو ليستعدَّ موسى ﷺ ويتهيَّأ لوعد اللّه، ويكون لنزول التّوراة موقعٌ كبير لديهم، وتشوُّقٌ إلى إنزالها[2]. وهو من التَّفصيلِ بعدَ الإجمالِ، لرفع احتمال أن تكونَ تلك العَشْرةُ من غير مواعَدةٍ، وفائدةُ الوعد بثلاثين أولًا، ثم بعَشْر ليتجدَّد له قربُ انقضاء المواعدة، ويكون فيه متأهِّبًا مُجتمِعَ الرّأي حاضر الذّهن؛ لأنَّه لو وعد بالأربعين أوَّلًا كانت متساويةً، فلمَّا فُصِلت؛ استشعرت النَّفس قربَ التَّمَام، وتجدَّد بذلك عزمٌ لم يتقدَّم[3].

التَّعْبِيرُ بقولِه: ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا﴾، استيفاءٌ لما نقصَ منَ الأربعين:

عَلاقةُ اسْتيفاءِ اللّيالي العشْرِ، لمعنى التّمامِ في مُدّةِ المناجاةِ

التَّمَامُ يَسْتَدْعِي سَبْقَ نَقْصٍ بِخِلاف الكَمال، ولذلك عُبِّر به عن: الإتيانِ بِمَا نَقَص من النّاقِص[4]. وتمامُ الشَّيء انتهاؤُه إلى حدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارجٍ عنه[5]، ولذلك كان التَّعْبِيْر ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا﴾ في هذا الموضع، وتكرارُه بـ﴿فَتَمَّ﴾ مناسبًا بدقَّة لنقص اللّيالي العشر ابتداءً، واستيفائها من ثَـمَّ.

عِلَّةُ تخصيصِ الثّلاثينَ والعشْرِ بالانفصال:

الثَّلاثون عَـددُ شَهْرٍ، ففُصِلتْ لمكان الشَّهْرِ من قياسِ الزّمنِ

ذكَرَ الثّلاثين وأتمَّها بالعشر، والأربعون قد تكْمُلُ بعشرين وعشرين، أو خمسةٍ وعشرين وخمسةَ عشرَ؛ لأنَّ الثَّلاثين كانت عددَ شهر، فذُكِرتِ الثلاثون منفصِلةً لمكان الشَّهر، وأنَّها ذو القعدة وأتممناها بعشرٍ من ذي الحجَّة، ولهذه القِصَّةِ خُصَّت العشرُ والثَّلاثون بالانفصال[6].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/86.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 302.
(3) السّيوطي، الإتقان: 3/243.
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (تمم).
(5) الرّاغب، المفردات: (تمم).
(6) الفرّاء، معاني القرآن: 1/36.

ونقل الرازيُّ عن الحسن البصري: بأنَّه ليس المراد أنَّ وعْدَه كان ثلاثين لَيْلَةً، ثم بعد ذلك وعدَهُ بعَشْرٍ، لكنَّه وعدَهُ أربعين لَيْلَةً جميعًا، وهو كقَوْله: ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة: 196][1].

دَلالةُ قراءةِ (وتمّمْناها):

الـدَّلالـةُ على الـدَّوامِ في فعْلِ التّمامِ

وفي مصحف أُبيٍّ رضي الله عنه (وَتمَّمنَهَا) مشدَّدًا[2]. عَدَّاه بالتَّضعيف[3]. وأصلُه تمَّ مشدَّدًا من غير ألف[4]. والفعلُ المجرَّدُ (تمَّمَ) المضعَّف المتعدِّي بالباء فيه دلالةُ الدّوامِ وسببُهُ[5].

سِرُّ التَّكرارِ بجُملةِ إتمامِ الأربعينَ:

التَّكرارُ تأكيدٌ، وإيضاحٌ، وفذلكةٌ، وكلُّها مفيدٌ في البيانِ

الفاءُ في ﴿فَتَمَّ﴾ للتفريع، ثم كرَّر الأمر بقَوْله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ﴾، بعد قوله: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا﴾؛ ليبيِّنَ أن (العَشْر) لم تكن ساعاتٍ؛ فالفائدة: إزالةُ توهُّم معنى: أتممناها بعَشْر ساعات[6]، وكرَّر الجُمْلَة تأكيدًا وإيضاحًا[7]؛ لكونها إجمالًا بعد تفصيلٍ لدفع التوهُّم، وهي أيضًا فذلكةُ الحساب، كما في قَوْله: ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة: 196]. والغايةُ من مجموعها: إزالةُ وهم من يتوهَّمُ أنَّ المِيْقَات كان عَشْرين، ثم أتمَّه بعَشْرٍ، فصار ثلاثين[8]، فأزال هذا الإيهامَ بقَوْله: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ﴾[9]،

---

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 3/70.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/379.

(3) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/446.

(4) الخطيب، معجم القراءات: 3/149.

(5) داود، القرآن الكريم وتفاعل المعاني: 2/474، 476.

(6) ذكر السَّمين الحلبيّ أنّ الجملة في هذه الحالة تكون للتّأسيس على احتمالِ أنْ يتوهَّمَ متوهِّم بعَشْر ساعات أو غير ذلك. واعترَضَ على ذلك قائلا: "وهو بعيدٌ جداً". يُنظر: السّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 5/448.

(7) الماورديّ، النّكت والعيون: 2/256، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/450، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/379.

(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/86.

(9) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/185، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/314، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/86 - 87.

مبيِّنًا أنّ العَشْر ليست من الثَّلاثين[1]، فنفى تمام الثَّلاثين بالعَشْر أن يكونَ من جملة الثَّلاثين؛ لأنَّ تمام الشَّيءِ بعضٌ منه[2].

بَلاغةُ التَّعْبِيرِ بالفَذْلَكَةِ، وأثرُها في السِّياقِ:

الفَذْلَكَةُ إعلامٌ بالعدَدِ مُفصَّلًا، ثـمّ الإعــلامُ به جُملةً

العربُ تكرِّرُ الشَّيء تريد به التَّوكيد، وفائدةُ ذلك الفَذْلَكَةُ في علم الحساب، وهو أن يُعلم العددُ مفصَّلًا، ثمَّ يُعلمه جملةً؛ ليحتاط به من جهتين، وذلك أنَّ العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب، وكانوا يحتاجون إلى زيادة بيانٍ وإيضاح؛ فلذلك قال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: 196]، وقيل: لفظُه خبرٌ، ومعناه أمرٌ، أي: أكملوها، ولا تنقصوها ذلك[3].

وفذلكةُ الحساب، أي: جامعتُهُ، فالحاسبُ إذا ذَكَرَ عددَين فصَاعِدًا؛ قالَ عند إرادة جمْعِ الأعداد: فذْلَك، أي: المعدود كذا، فصِيْغَتْ لهذا القولِ صيغةُ نَحْتٍ مثلَ: بسْمَل؛ إذا قال: باسم الله، وحوقَلَ؛ إذا قال: لا حولَ ولا قوَّة إلَّا بالله، فحروفٌ فذلكةٌ: متجمِّعةٌ من حروفٍ. لذا غلب إطلاقُ اسم الفَذْلَكَة على خُلاصة جمعِ الأعداد، وإنْ كان اللَّفظُ المحكيُّ جرى بغير كلمة (ذلك)، كما نقول في قَوْله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ إذ استُبْدلَ به لفظُ (تلك)[4].

دلالةُ الفَذْلَكَةِ في الآيةِ:

توزيعُ العَددِ في إبْلاغِـه مُنجَّمًا إلى موسَى عليه السلام، بغرَضِ التّيْسيرِ والإيناسِ

وفي وجهِ الحاجةِ إلى الفَذْلَكَة في الآية، فضلًا عن دفع الإيهام، التّوكيدُ المفيدُ تقريرَ الحكم في الذّهن، كما تقول: كتبتُ بيدي، وفي قَوْله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، دلَّ على أنَّه أراد من موسى عليه السلام، مناجاة أربعين لَيْلَة، ولكنّه أبلغها إليه موزَّعة تيسيرًا[5].

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/275.
(2) الماورديّ، النّكت والعيون: 2/256.
(3) الخازن، لباب التّأويل: 1/12712 - 8.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/228.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/228.

دَلالةُ الإطنابِ بالإيضاحِ بعْدَ الإبهامِ:

مَلْمَحُ الإطنابِ في رُؤيةِ المعنَى في صُورتَيْنِ مختلفتَيْنِ، أو تَمكُّنِه في النَّفْسِ تَمكُّنًا زائدًا

وجهُ كونِ الجُمْلَة إيضاحًا بعد إبهامٍ أنَّها فَصَّلتْ، ثم أجْمَلتْ، قال أهل البيان: إذا أردت أن تُبهِمَ، ثم توضِّح، فإنَّك تُطنِبُ، وفائدته إمَّا رؤية المعنى في صورتين مختلفتين: الإبهام، والإيضاح، أو لتمكُّن المعنى في النَّفس تمكُّنًا زائدًا لوقوعه بعد الطلب، فإنه أعزُّ من المنساق بلا تعبٍ، أو لتكمل لذَّة العلم به، فإنَّ الشَّيء إذا عُلم من وجهٍ ما؛ تشوَّقت النَّفس للعلم به من باقي وجوهه، وتألَّمت، فإذا حصل العلمُ من بقية الوجوه؛ كانت لذَّتُه أشَدَّ من علمه من جميع وجوهه دفعةً واحدة[1].

فائِدةُ الإجْمالِ بعْدَ التَّفصيلِ:

إفادةُ أنّ جميعَ العدَدِ المنصوص عليه، مُرادٌ كلُّه للمُواعدةِ، لا أجزاؤُه فقط

بإعادة لفظ أربعين مع كونه معلومًا مِن الثَّلاثين والعَشْر، أنَّها أربعون، لنفي اللَّبس؛ لأنَّ العَشْر لما أتتْ بَعْدَ الثَّلاثين التّي هي نصٌّ في المواعدة؛ دخلها الاحتمالُ أنْ تكونَ من غير المواعدة، فأعادَ ذكر الأربعين نفيًا لهذا الاحتمال، وليُعْلِم أنَّ جميعَ العدد للمواعدة[2].

سِرُّ التّدقيقِ في ضَبْطِ العدَدِ في الآية:

مُدَّةُ الثَّلاثينَ ليلةً، بدون زيادةِ العَشْرِ، لا تبلغُ الكمالَ المتُوخَّى

إنَّ معنى قَوْله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ بلَغَ، وثَبَتَ، ووقَعَ، واستقرَّ؛ فهو إشارةٌ إلى أنَّ موسى فعلَه، ووفَّى به؛ لأنَّ الكلامَ كان محتمِلًا هل وفَّى بالعهد أم لا؟[3] فالتَّمَام هنا مستعملٌ في معنى النَّماء، والتفوُّق، فكان ميقاتًا أكملَ وأفضلَ، كقَوْله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: 154] إلى قَوْله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: 3]، إشارةً إلى أنَّ زيادة العَشْر كانتْ لحكمةٍ عظيمةٍ، تكون مُدَّةُ الثَّلاثين بدونها غيرَ بالغةٍ أقصى الكمال، وأنَّ الله قدَّر المناجاةَ أربعين لَيْلَة، ولكنَّه أبرز

(1) السّيوطي، الإتقان: 3/242.
(2) الزّركشّي، البرهان في علوم القرآن: 2/478.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة النّسخة الكاملة: 2/248.

الأمر لموسى مفرَّقًا؛ تيسيرًا عليه، ليكون إقبالُه على إتمام الأربعين باشتياق وقوَّةٍ[1].

بلاغة تضمينٌ (تمّ) معنى (بلغَ):

إذ ضُمِّنَ (تمَّ) معنى: (بلغ)، والمعنى: بلغ ميقاتُ ربِّه تامًّا، وهو أبلغُ في الدِّلالة من تضمين معنى فعل واحد، فكلُّ ما بَلَغَ بأمْرِ الله التّمامَ، استوَى لِينتفِعَ به الأنامُ.

سِرُّ حذْفِ تمييزِ لفْظِ ﴿بِعَشْرٍ﴾ في السِّياقِ:

الإيجازُ يكونُ في السِّياقِ، لِدلالةِ الكلامِ عليه، ولانْتِفاءِ اللَّبْسِ به

حُذِفَتِ الهاء من ﴿بِعَشْرٍ﴾؛ لأنَّ المعدودَ مؤنَّثٌ[2]، وحُذِف تمييزُها لدَلالة الكلام عليه، أي: وأَتْمَمْناها بعَشْر ليالٍ[3]، فعدل عن تَكرار المعدود ﴿لَيْلَةً﴾ إيجازًا؛ لوضوحِه، وانتفاء اللَّبس في تحديده، والتَّكرارُ في غير موضعه يورث السَّآمةَ والملل.

نُكْتَةُ العُدولِ منَ الإجمالِ إلى التَّفْصيلِ:

الأربعونَ، والثّلاثونَ والعَشْرةُ قولٌ واحدٌ، ليس بمُختلِفٍ على تفصيلٍ وتأْليفٍ

أجمل تعالى ذكرَ الأربعين في سورة البقرة، وفصَّلها هاهنا[4]. فالأربعون، والثلاثون والعَشْرة قولٌ واحد ليس بمختلفٍ، وإنَّما قال القولين على تفصيلٍ، وتأليفٍ، قال: أربعين في قولٍ مؤلَّفٍ، وقال: ثلاثين مفصَّلًا، يعني: شهرًا متتابعًا وعَشْرًا، وكلُّ ذلك أربعون، وهذا جائزٌ في كلام العرب[5]؛ إذ هناك أسلوبان في مسألة الأعدادِ، الأوَّلُ: إجماليٌّ، والثاني: تفصيليٌّ، فإنِ اتَّفقَ التَّفصيلُ مع الإجمالِ، فلا توجد شبهةٌ، أو إشكالٌ[6]، وسورة الأعراف مكيَّة، والبقرة مدنية، فهي متأخِّرة عنها في النُّزول[7]. والحكمةُ فيه أنَّ موسى عليه السلام

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/87.
(2) القرطبيّ، الجَّامع لأحكام القرآن: 7/275.
(3) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/446.
(4) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/151.
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/275.
(6) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 7/4334 - 4335.
(7) محمد رضا، تفسير المنار: 9/105.

ما إنْ ذهب لميقات ربِّه، حتىّ عبد قومُه العِجْل في مُدَّة الثَّلاثين لَيْلَةً. ولم يشأِ اللّهُ أنْ يتركَ موسى ﷺ ليعود لقومه بعد الثَّلاثين لَيْلَةً، بل أتمَّها بعَشْر أُخَرَ، حتّى لا يعودَ موسى، ويرى ما فعلَهُ قومُه، فكأنَّ العَشْرَ زادتْ على الثَّلاثين لَيْلَةً، ليعطيك الصَّورة الأخيرة الموجودةَ في سورة البقرة، فالمسألةُ في منتهى الدّقَّة[1]. أو أنَّ قومه تأخَّروا عنه في الأجل الأوَّل، فزاده الله لتأخُّرِهم عنه أجلًا ثانيًا ليحضروا، أو: لأنَّ قومَه عبدوا العِجْل بعده، فزاده الله أجلًا ثانيًا؛ عقوبة لهم، أو: أنَّ الله فعل ذلك به اختبارًا لقومِه؛ ليتميَّز به المؤمنُ مِنَ المنافِقِ، ويُعرف به المُتيقِّنُ من المُرتاب[2].

فائِدةُ التَّعْبِير بالمِيْقَاتِ دونَ الوقتِ:

ذِكرُ الوقتِ الّذي قُـدِّرَ أنْ يُعْـمَلَ فيـه عَـمـلٌ مِـنَ الأعمالِ

و﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ ما وقَّته له من الوَقْتِ وضربه له[3]. والفَرْقُ بين (المِيْقَات، والوَقْتِ) وإن كانا من جنس واحدٍ أنَّ المِيْقَاتَ ما قُدِّر لعمل، والوَقْتُ قد لا يتقدَّرُ لعملٍ[4]. فالمِيْقَاتُ: هو الوَقْتُ الذي قُدِّرَ أن يُعْمَلَ فيه عملٌ من الأعمالِ، ولهذا قيل: مواقيتُ الحجِّ[5].

والوَقْتُ: وقتٌ للشَّيءِ من غير تقديرِ عمل أو تقريره[6]. وكلُّ عملٍ وحدث يتطلَّب أمرين يُظْرَف فيهما، أي: يكونان ظرفًا له؛ فلا بدَّ له من مكانٍ يحدث فيه، ومن زمانٍ يحدث فيه كذلك، واسمُهما ظرفُ الزمان، وظرف المكان، إلا أنَّ ظرفَ الزَّمان غيرُ قارٍّ، أي: غيرُ ثابتٍ، فقد يأتي الصُّبحُ، ويذهب ويأتي بعده، الظُّهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، لكنَّ ظرف المكان قارٌّ وثابتٌ[7]. فالمِيْقَات أخصُّ

(1) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 18/110961 - 1097.
(2) الماورديّ، النّكت والعيون: 2/256.
(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/151.
(4) الماورديّ، النّكت والعيون: 2/257.
(5) الخازن، لباب التّأويل: 2/244.
(6) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/446 - 447.
(7) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 7/4338.

من الوَقْتِ[1]؛ لأنَّه يتضمَّن الزمانَ مُقدَّرًا بعمل، أو مقرِّرًا له، متضمِّنًا المكانَ.

نُكتةُ العُدولِ إلى التَّصْريح بلفظِ ﴿رَبِّهِۦٓ﴾، وإضافةِ موسَى عليه السلام إليه:

في إظْـهـارِ هذا الاسْمِ الشَّريفِ، اعـترافٌ برُبوبيَّةِ اللهِ له وإصْلاحِهِ له

جاء بلفظ ﴿رَبِّهِۦٓ﴾ في إتمامِ الميقات، ولم يُجْره على لفظ ﴿وَوَٰعَدْنَا﴾، كأن يكون التَّرْكِيْبُ: (فتمَّ ميقاتنا)؛ لأنَّ لفظ ﴿رَبِّهِۦٓ﴾ دالٌّ على أنَّه مُصْلِحُهُ وناظرٌ في أمره، ومالكهُ، والمتصرِّف فيه[2]، ففي إظهار هذا الاسم الشريف اعترافٌ بربوبيَّة الله له وإصلاحه له[3].وبسبب حُمْقِ بعض قومه حين تأخَّر مغيبُ موسى عليه السلام عنهم، في مناجاة اللهِ بعد الثَّلاثين، فزعموا أنَّ موسى هلك في الجبل[4].

سِرُّ التَّعْبيرِ باللَّيالي دونَ الأيَّامِ:

الـلَّـيـالِي غُـرَرُ الـشُّـهـورِ، وتشمَلُ اللَّيلَ والنَّهارَ، وهي مَنوطةٌ بالأهلَّةِ

خصَّ الليالي بالذِّكر؛ لأنَّ العَامَ بها، والأيَّام تابعةٌ لها، والمرادُ أربعين لَيْلَةً بأيامها[5]؛ ولأنَّها غرَرُ الشُّهورِ[6]. والمراد بها ما يشمَلُ اللَّيل والنَّهار في عرف العربِ عند الإطلاق[7]. فالغالب في الكلام العربي التوقيت بالليالي، ويريدون أنَّها بأيامها؛ لأنَّ الأشهرَ العربية تبتدئ بالليالي؛ إذ هي منوطةٌ بظهور الأهلَّة[8]، فشهور العرب وُضِعَت على سير القمر، والهلالُ إنَّما يهلُّ باللَّيل[9].

وهذا سرُّ التَّعْبِيْر الدَّائم بالليالي لعدم القدرة على تحديدِ الزَّمن بدقَّةٍ بالنَّهار، فالشَّمس تشرق وتغربُ، ثم تعود لتشرقَ، فإذا نظرت إلى قرص الشمس، لا يمكن أن تحدِّدَ في أيِّ وقت من الشَّهر

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 9/105.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/379.
(3) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/448.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/87.
(5) ابن جزي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 1/84.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/269، والآلوسي، روح المعاني: 9/43.
(7) محمد رضا، تفسير المنار: 9/105.
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/86.
(9) البغويّ، معالم التّنزيل: 1/81 - 82.

نحن؟ هل في أوَّله أو في وسطه أو في آخرِه، ويتحقَّق ذلك بمجيء اللَّيل مِن خلال النظر إلى القمر، فإذا كان القمر هلالًا، فنحن في أوائل الشَّهر، وإذا كان بدرًا فنحن في وسطه وهكذا[1]. وقيل: لأنَّ الظُّلمةَ أقدمُ من الضَّوء، وخلقَ الليل قبل النَّهار قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: 37][2].وخَصَّ اللّيالي بالذِّكرِ في الآية الكريمة؛ لكون اللَّيْلَةِ أقدمَ من اليوم، وقبلَه في الرُّتبة، ولذلك وقع بها التّاريخُ، وفي ذلك إشارةٌ إلى صلة الصّوم؛ لأنَّه لو ذكر الأيّام؛ لأَمْكَن أن يعتقد أنّه كان يفطر باللّيل، فلمَّا نصَّ على اللّيالي، اقتضت قوَّةُ الكلام أنَّه ﷺ، واصل أربعين لَيْلَة بأيامها[3].

سِرُّ مُواعدةِ اللهِ تعالى لموسَى ﷺ، فُرصةً للاصطفاءِ والقُربِ والكلامِ:

النَّفْسُ في اللّيلِ أكثرُ تجرُّدًا للكمالاتِ النّفسانيّةِ

مواعدةُ اللّهِ موسى كانت لأجل الانقطاع للعبادة وتلقِّي المناجاة، والنَّفْسُ في الليل أكثر تجرُّدًا للكمالات النفسانية، منها في النَّهار؛ إذ قد اعتادتِ النُّفوس بحسب أصل التَّكوين الاستيناس بنورِ الشمس والنشاطِ به للشُّغل، فلا يفارقها في النَّهار الاشتغالُ بالدُّنيا، ولو بالتفكُّر وبمشاهدة الموجودات، وذلك ينحطُّ في الليل والظُّلمة، وتنعكس تفكُّرات النَّفس إلى داخلها، ولذلك لم تزل الشَّريعةُ تحرِّضُ على قيام الليل، وعلى الابتهالِ فيه إلى الله تعالى، على أنَّ الغالبَ في الكلام العربي التَّوقيت بالليالي، ويريدون أنَّها بأيَّامها؛ لأنَّ الأشهرَ العربية تبتدئ بالليالي؛ إذ هي منوطةٌ بظهور الأهلَّةِ[4].

وَجْهُ التَّعْبِيرِ عنِ الإصلاحِ بالأمرِ ﴿وَأَصۡلِحۡ﴾، مع إضْمارِ مفعولِهِ:

المرادُ بالإصلاحِ، إصلاحُ أمُورِ الدّينِ لا أمورِ الدّنيا

﴿وَأَصۡلِحۡ﴾: أمرٌ بالإصلاح، ومفعوله مقدَّر بـ (أصلحْ ما يجب أن يصلُحَ من أمورِ بني إسرائيل)[5]، أي: ارفق بهم، وأصلحْ أمرهم،

(1) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 1/332.
(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 1/81 - 82.
(3) الثّعالبيّ، الجواهر الحسان: 1/237.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/86.
(5) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/151.

وأصلحْ نفسك، أي: كُنْ مُصلِحًا[1]. وفيه إشارةٌ إلى أنَّ المرادَ إصلاحُ أمور دينهم لا دنياهم، أو هو منزَّلٌ منزلةَ اللازم من غير تقدير مفعول، وهو يفيد التَّعميمَ، أو معناه: ليكن منك إصلاحٌ، وليس المراد به أيَّ إصلاحٍ كان، بل إصلاح تامٌّ عامٌّ؛ لأنَّه نكرةٌ في سياق النّفي، وقيل: إنَّه لا يناسِب المقامَ[2].

نُكتةُ التَّعْبير بعدَمِ الاتِّباعِ، بالفعْلِ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ تأكيدًا للمطلوبِ:

بيانُ نهْيِه بلفْظِ النّهْيِ الصّريحِ، عنِ اتِّباعِ سبيلِ المُفْسِدِينَ

﴿وَلَا﴾ طلبيَّةٌ جازمةٌ أفادتِ النَّهيَ، والإرشادَ، وخلَّصت ﴿وَلَا﴾ دلالةَ الفعل إلى الاستقبال، ومجيءُ الفعل على صيغة المُضَارِع المشدَّد للمبالغة في النَّهي، ومعنى قَوْله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ لا تُطِعْ، وتَتَّبِعْ من دعاك منهم إلى الإفساد[3]، ولا تسلكْ سبيلَ العاصين، ولا تكنْ عونًا للظَّالمين[4]، وفيه إشارةٌ إلى أنَّه جعل الإفساد كالطريق المسلوكِ لهم، كما يقال: هذه طريقةُ فلان، والتقدير: لا تُطِعْ مَن دعاك إليه، كالتَّفسير له، أو لبيان أنَّ موسى نهى أخاه هارون عن اتِّباع المفسدين بدعوةٍ وبدونها[5]. والمقصودُ من هذا الأمر التَّأكيدُ؛ لأنَّ هارونَ - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - لم يكن ممَّن يتَّبع سبيلَ المُفْسِدين، فهو كقَوْله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260]، وكقولك للقاعد: اقعد، بمعنى: دُمْ على ما أنت عليهِ مِنَ القعودِ[6].

دَلالةُ النَّهْيِ، في قَوْله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

بيانُ التّحْذيرِ مِنَ الفسادِ، بأبْلَغِ صِيغةٍ، وأبْينَ إرشادٍ

وكان جامعًا للنَّهي عن ثلاثِ مراتبَ من مراتب الإفضاءِ إلى الفساد، وهي: العملُ المعروف بالانتساب إلى المُفْسِد، وعملُ المُفْسِد

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/277.
(2) الشّهاب، عناية القاضي: 4/212.
(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/151.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/277.
(5) الشّهاب، عناية القاضي: 4/212.
(6) الخازن، لباب التّأويل: 2/244.

وإن لم يكن ممَّا اعتادَه، وتجنُّبُ الاقتراب من المُفْسِد ومخالطته[1].

وهي بذلك تتعدَّى مجرَّدَ التأكيد لمضمون جملة ﴿وَأَصْلِحْ﴾؛ تأكيدًا للشَّيء بنفي ضدِّه، مثل قَوْله: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: 21]؛ لأنَّها لو كان ذلك هو المقصد منها لجُرِّدت من حرف العطف، واقتصرَ على النَّهي عن الإفساد، فقيل: وأصلحْ لا تفسد[2]. فالأمر لهارون عليه السلام بعدم الاتِّباع، جامعٌ لما يتعيَّن عليه عمله من أعمالهِ في سياسة الأمَّة، وقَوْله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ تحذيرٌ مِنَ الفساد بأبلغ صيغة؛ لأنَّها جامعةٌ بين نهْيٍ - والنَّهيُ عن فعل تنصرفُ صيغتُه أوَّل وهلةٍ إلى فساد المنهيِّ عنه - وبين تعليقِ النَّهي باتِّباع سبيل المُفْسِدين[3].

بَلاغةُ التَّعْبِيرِ بـ(الاتِّباعِ)، على طريقِ الاسْتِعارةِ:

الطَّريقُ مُستعارٌ للعمَلِ المؤدِّي إلى الفسَادِ

الاتِّباعُ هنا مُستعارٌ للمشاركة في عمل المُفْسِد، فإنَّ الطّريقَ مُستعارٌ للعمل المؤدِّي إلى الفساد، والمُفْسِدُ من كان الفساد صفتَهُ، فلمَّا تعلَّق النَّهيُ بسلوك طريق المُفْسِدين؛ كان تحذيرًا من كلِّ ما يستروح منه مآلٌ إلى فساد؛ لأنَّ المُفْسِدين قد يعملون عملًا لا فساد فيه، فنهى عن المشاركة في عمل من عُرِفَ بالفساد؛ لأنَّ صدورَهُ عن المعروف بالفساد، كافٍ في توقُّع إفضائه إلى فساد، ففي هذا النّهي سدُّ ذريعة الفساد، وسدُّ ذرائع الفساد من أصول الإسلام[4].

دَلالةُ الجمْعِ بين الأمرِ والنَّهْيِ:

كـلُّ تَـكـالـيـفِ الشّرعِ محصورةٌ في (افْعَلْ)، و(لا تَفْعَلْ)

وفي الآية أمرٌ ونهيٌ: فـ﴿وَأَصْلِحْ﴾ أمْرٌ، و﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ نهْيٌ، ونعرف أن كلَّ تكاليف الحَقِّ ﷻ محصورةٌ في "افعل كذا"، و"لا تفعل كذا"، ولا يقول الحَقُّ للمكلَّفين: (افعلوا كذا) إلا إذا كانوا صالحين للفعل ولعدم الفعل، وإن قال لهم: "لا تفعلوا"، فلا بدَّ أن يكونوا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/88.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/89.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/88.
(4) الشّهاب، عناية القاضي: 4/212، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/88.

صالحين للفعل، ولعدم الفعل[1]. وأمْرُهُ إيَّاه بالصَّلاح ونهْيُهُ عن اتِّباع سبيل المُفْسِدين، هو على سبيل التَّأْكِيد، لا لتوهُّم أنَّه يقع منه خلافُ الإصلاح واتباعُ تلك السَّبيل؛ لأنَّ منصِبَ النبوَّةِ منزَّهٌ عن ذلك[2].

دَلالةُ التَّصْريحِ باسْمِ هارونَ ﷺ، والتّمهيدِ له بلفْظِ أخيه:

صـرَّحَ تَشريفًا، وتَحنُّنًا، وتذكيرًا بصِلةِ الأخـوَّةِ قـبْـلَ صِـلـةِ الرِّسالةِ

والتَّصْريحُ بالاسم في مواطن الإنعام تشريفٌ، وإعلاء مكانة، وتعبيرُ الباري عن حيثيَّةِ الأخوّة مقدَّمة على وصايا الاستخلاف بقَوْله: ﴿لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ تعطُّفٌ، وتحنُّن، أي: أنّني لي بك صلةُ قرابةٍ ورحِم، قبل أن تكون شريكًا لي في الرِّسالة، فأنا أخٌ لك، وأنت أخٌ لي، ومن حقِّي عليك أن تسمعَ كلامي وتَخْلُفَني، فأخوَّةُ النَّسب مقرونةٌ بأنَّك شريكٌ معي في الرِّسالة[3]. وفي التَّعْبِيْر بلطفِ العبارة، وإشاراتِ القرب دافعًا في تحقيق المهام على التَّمَام، وهارون عطفُ بيانٍ لأخيه، وقُرِئَ بالضَّم على النِّداء[4]. وفي تقدير النِّداء معنى: قرب المنادَى.

سِرُّ إضافةِ الاسْتِخلافِ عن طريقِ الياءِ ﴿ٱخْلُفْنِى﴾:

دفْـعُ تـوهُّـمِ الاسْـتِـخـلافِ المطلَقِ لهارونَ ﷺ

أي: كن خليفتي فيهم[5]. ونسبَ موسى استخلافَ أخيه هارون ﷺ إليه بإضافته إلى ياءِ المتكلِّم: ﴿ٱخْلُفْنِى﴾، ولم يقل: (كن خليفةً في قومي)؛ لدفع توهُّم استخلافهِ المطلق؛ إذ لا يصحُّ خليفتان في وقتٍ واحد، وإنَّما هو استخلافٌ لغاية محدَّدة.

نُكتةُ تأكيدِ موسَى ﷺ، نِسبةَ قومِهِ إليه: ﴿قَوْمِى﴾:

بيانُ التَّصريحِ بقُربِهم منه، ومكانتِهم لدَيْه

أكَّد موسى ﷺ نسبةَ قومه إليه عن طريق ياء المتكلِّم: ﴿قَوْمِى﴾ مصرِّحًا بقربهم منه، ومكانتهم لديه، وأنَّه لا يريد بهم إلا الخيرَ

(1) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 7/4337.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/379.
(3) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 7/4337.
(4) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/151. وهي قراءة شاذة لم تُنسب إلى من قرأ بها، ولعلّ الزّمخشريَّ أولُ من ذكرها، وتبعه عليها الرّازيّ في تفسيره، والنّيسابوريّ في التّفسير.
(5) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/151.

الذي يريدُه لنفسه، فإذا جاءكم بأمرٍ؛ فاعلموا أنَّه لصالحكم، وإذا نهاكم نهيًا؛ فاعلموا أنَّ موسى هو أوَّل من يطبِّقه على نفسه[1].

عِلَّةُ اسْتِخلافِ هارونَ عليه السلام، وعدَمِ اصْطحابِه:

المحبَّةُ تُوجبُ التجرُّدَ والانفرادَ

حين ذهب موسى عليه السلام إلى فرعون سأل الله تعالى أن يصحب أخاه معه ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ [طه: 29 - 32]، ولما ذهب لسماع كلام الله كان بمفرده؛ لأنَّ الذهابَ إلى الخلق يوجب الوحشةَ، فطلب إلى أخيه صحبته ليخفِّف عنه كُلْفةَ المشقَّةِ، ويقال: إنَّ المحبةَ توجبُ التجرُّدَ والانفراد وألَّا يكون للآخرين مع المحبِّ مساغٌ، ففي ذَهابه إلى فرعون استصحبَ أخاه، ولما كان الذهابُ إلى المِيْقَات، لم يكن للآخرين سبيلٌ إلى صحبته، إذ كان المقصودُ من ذهابه أن يكونَ مخصوصًا بحاله[2].

سِرُّ التَّعْبِيرِ عنِ الاسْتِخلافِ بِحُسْنِ النَّسَقِ:

تضَمَّنُ لمرْسُومِ تعيينٍ من ثلاثِ موادَّ مُتلاحِمةٍ متفاصِلَةٍ

وهو من العناصر الجماليَّة المعنويَّة التي تتعلَّق بتتابُعِ المفردات والجمل في الكلام الواحد. فمن البديع في الجمل المتتاليةِ الَّتي جاء بعضُها معطوفًا على بعضٍ أن تكون فيما بينها متلاحمةً تلاحمًا سليمًا مستحسنًا، وأن تكون كلُّ واحدة منها قابلةً لأن تستقلَّ بنفسها لو أُفْرِدَتْ[3]. وفي قَوْله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾. جُمَلٌ ثَلاثٌ قالها موسى لأخيه هارون، تتضَمَّنُ مَرْسومَ تعيين من ثلاث موادَّ متلاحمةٍ متفاصلةٍ:

المادَّة الأُولى: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾.

المادَّة الثَّانية: ﴿وَأَصۡلِحۡ﴾، (أي: في إدارتك وخلافَتِكَ لي).

(1) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 7/4337.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 2/454.
(3) القشيريّ، لطائف الإشارات، ص: 813.

المادَّة الثَّالثة: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، (أي: مَهْما كانت كثرتهم، فاحْزِمْ أمْرَك، ولا تتَّبِعْهُمْ مداريًا لهم). وفي ذلك تنبيهٌ وتذكيرٌ، وإلّا فهارون ﷺ نبيٌّ شريفٌ كريمٌ على الله، له وجَاهَةٌ وجلالةٌ، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى سائر الأنبياء[1]. ولا شكَّ في أنَّه لا يخفى عليه ذلك.وقد جمعَ موسى في وصيَّته له مِلاكَ السَّياسة بقَوْله: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ فإنَّ سياسة الأمَّةِ تدور حول محور الإصلاح، وهو جعْلُ الشَّيء صالحًا، فجميع تصرُّفات الأمَّة وأحوالها يجب أن تكونَ صالحةً، وذلك بأن تكون الأعمالُ عائدةً بالخير، والصَّلاح لفاعلها ولغيره[2].

دَلالةُ تعريفِ النَّكرةِ بالإضافةِ، والتَّعْبِيرِ باسْمِ الفاعلِ مَجموعًا:

ثبـاتُ الصِّـفـةِ أدْعَـى لـلحـذَرِ مـنَ المُفسدِين وسبيلِهم

﴿سَبِيلَ﴾ نكرةٌ، عرَّفها بالمعرَّف بأل الجنسيَّة للاستغراق العرفيِّ ﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، والتَّعْرِيف به أبْلغ من التَّعْرِيف بغيره، وجاء به على هيئة اسم الفاعل؛ للدلالة على ثبات الصِّفة فيهم وديمومتها، وهو أدعى للحذر منهم، وتجنُّب اتِّباعهم.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/468.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/87.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»